المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا لاينتهى إلى حد، ثم الصلاة و السلام علـى خيـر الخلـق أجمعين و أفضل من نطق بالضاد، محمد الذى بعثه الله رحمة للعـالمين و أنـزل عليـه كتابه بلسان عربىّ مبين، و السلام على آله الطيبين الطاهرين و جميع المتقين من أعلام الهدى و منار التقوى؛ اللهم بک أستعين و عليک أتوكل.

و بعد :

و إنى عندما اشتغلت بتدريس النقد الأدبى و بـدأت بدراسـة مـا مـن الكتـب النقدية القديمة و الحديثة بدأ ميلى إلى وضع كتاب فى النقـد، مفصـل شـامل للحركـة النقدية، يتناول مراحل تطور النقد و يعالج ظروف نشأته منذ ظهور بداياتـه الأولـى و نشأته و يسايره فى خطوات تقدمه مع الحياة المادية و العقلية فى فتراتها المختلفة إلى العصر الحديث، ليكون دليلا لطلاب الدراسات العليا و مرشدا لهم؛ و هذا هو مـا كنـت أوْمله.

و إنا نعلم أن هذا الكتاب واحد من الكتب الكثيرة التى ظهرت عن النقد الأدبى و تناولت تاريخه و تطوراته و اتجاهاته و مدارسه، و هى، كما نرى، تـزداد كـل عـام عددا. فأرى الواجب علىّ أنْ أعرف للقدماء السابقين فضلهم و أقدر جهودهم و أثنـى عليهم و أذكرهم بكثير من الأدب و التواضع.

و من الممكن أن يحسب أصدقاؤنا المفكرون، أحيانا، أن أى محاولة فـى هـذا المجال لن‌تكون سوى تكرار، و لا فائدة فيها، غير أنى أرى أن هذه النظرة إلى الكتابة و التأليف فى موضوع النقد بعيدة عن الحقيقة كل البعد، فإنهم إذا دققوا النظر فى تلـک

الكتب التى فى متناولهم لوجدوا أن الكتب النقدية التى ظهرت عن هذا الموضوع إلى يومنا هذا إنما عالج كل منها مرحلة من مراحل التطور فى النقد أو تناول ناحية من نواحيه دون الأخرى، أو تتبع فكرة أو مجموعة من الفِكَر النقدية خلال فترة أو أكثر من فترات تاريخ الأدب، غير أننا، فى هذا الكتاب، نسعى أن ننهج منهجا نقديا يحاول الجمع بين الأساليب المختلفة و المناهج العديدة، و فى ضوء دراسة التطورات المهمة فى الحياة العربية، سياسية كانت أو ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية بصفتها قوى فعالة لعبت فى التطورات النقدية دورا كبيرا، دون أن نركز محاولاتنا الهامة على تفصيل تلك الأحداث السياسية و الاجتماعية و الثقافية، إلا قدر ما كان لها من تأثير ملحوظ فى تطور النقد الأدبى و تقدمه.

و ما هو حقيق بأن يشار إليه هنا هو العقبات الهائلة الكثيرة التى وضعتها الظروف الاجتماعية و الاقتصادية أمام المعلمين و المتعلمين فى عصرنا هذا، فمما ينبغى أن يهتم به المعلمون، فى هذا الوسط، هو تسهيل التعلّم على المتعلمين و رسم خطط واضحة أمام الدارسين الناشئين؛ فإننا، لتلك الأسباب المذكورة، بدأنا بدراسة الظروف الاجتماعية ثم عالجنا الدراسات النقدية التى نشأت فى تلك الأوساط و اعتمدنا على تصنيف تلك الدراسات و ترتيبها و معالجتها عبر الزمن لمعرفة تأثير بعضها فى بعض و تأثر اللاحقة بالسابقة، ثم قمنا بالموازنة بين تلك الدراسات النقدية و أساليبها لنضع أمام الطالب فى دراساته الأدبية خُطة كلاسيكية صحيحة تساعده على اختيار الأسلوب الصحيح للبحث الأدبى و تُحبِّب إليه البحوثَ الأدبية القائمة على منهج علمى ينتهى إلى الكشف عن الحقيقة.

و على الرغم من كثرة الدراسات النقدية فى العصر الحديث يبدو لنا، من خلال مقارنتنا بين هذه الدراسات، أن النقد قد أخذ فى هذا العصر معنى سلبيا، فخُيِّل إلى الناقد أنه لم‌يُكلّف فى دراسته النقدية إلا الحكم بجودة الأثر أو قُبحه، و أحيانا كثيرة إظهار ما فيه من عيب فحسب، فمن ثم اتسمت النزعة السائدة فى المناهج النقدية و

النقاد بطابع الحكم على الأثر و فى الأغلب حكما سلبيا لا إيجابيـا، و لا غيـر، إلا أن مهمة الناقد الرئيسية، فى رأينا، هى دراسة الأثر الأدبـى دراسـة منهجيـة صـحيحة، و تحليله تحليلا قائما على مناهج و ضوابط علمية، و الدلالة على مميزاته، بغيـةَ إرشـاد القراء و توجيه الأدباء.

فمن البواعث التى دفعتنا إلى وضـع هـذا الكتـاب، و خاصـة مـا وضـعنا فـى الفصلين الأخيرين، هو إرشاد طلاب الدراسات العليا إلى الأسلوب العلمى الصـحيح و النقد المنهجى القويم فى البحث الأدبى، خلال دراسة النماذج النقدية و الوقـوف علـى قيمتها الفنية و الأدبية فى العصور المختلفة، و تزويدهم ببعض ما يحتـاجون إليـه مـن الثقافات و المعلومات فى مجال البحث الأدبى؛ و هو ممـا يفتقـر إليـه الآن مجتمعنـا الثقافى و العلمى.

غير أن هذا الأمل، أو بعبارة أخرى ما نحلم به، لايزال أمنية يتداولها المثقفـون دون أن يثقـوا بتحققها، و لكن يبدو أن من حقـنا أن ننتظر لمجتمعنا مستقبلا جميلا و لثقافتنا ازدهارا يعرّف هويتنا و يدعو أدباءَنا الملتزمين إلى الاهتمـام بالعمـل الثقـافى الحقيقى، كما يدعو السلطات إلى الاعتراف برسالة الثقافة و دورها فى بنـاء المجتمـع الإنسانى، فإنى قد شاركت غيرى من الأدباء المؤلفين فى تحقيق هذه الأمنية راجيا من الله القادر الحكيم أن يحققها لشبابنا المتعلمين.

و بما أن هذا الكتاب، كتاب تعليمى و جامعى فإنى أودّ توكيد نقاط هامـة فـى تدريسه، و يُرجَى أن ينتبه إليها كل من أراد تدريسه أو دراسته، و هى:

١. أن كل فصل من فصول الكتاب يشتمل على بابين رئيسيين، و إن لـم‌نبوّبـه فى الظاهر، باب منه يشتمل على التطورات السياسية، و الاجتماعية، و الأدبيـة و هـى بمثابة مقدمة لدراسة الآراء و الاتجاهات النقديـة؛ و بـاب آخـر يخـتص بـالتطورات النقدية و هى الهيكلية الأساسية فى الكتاب، فمن الممكـن أن يتعهـد الطـلابُ دراسـةَ الباب الأول فى كل فصل بأنفسهم، لما لهم من معلومات عامـة فـى التـاريخ و سـابقة بتلك القضايا التاريخية و السياسية، فيبقى البـاب الثـانى للتـدريس و المناقشـة فـى الصف.

۲. إننا اقتصرنا فی کل موضوع نقدی علی معالجة نموذج مما کتب فیه، إذ إن المجال ماکان یسمح لنا فی هذا الکتاب إطالة الحدیث، فمن الممکن أن یُطلب من الطلاب و الدارسین أن یدرسوا من الآثار النقدیة الأخری، ما لم‌یتناوله الکتاب فی ذاک الموضوع، حسب ما عالجه کتابنا هذا، ثم یوازنوا بین الأثر المدروس فی الکتاب و ما درسوه هم بأنفسهم، لیمارسوا الدراسات الأدبیة و یقوموا بالتجارب الإبداعیة الشخصیة و یبرعوا فیها.

۳. و لیس ببعید أن یتمکن الطالب، بعد دراسة الفصل الأخیر، من کتابة بحث أدبی أو مقالة علمیة، محاولة لاکتشاف جزء من المعرفة و إذاعته بین الطلاب الآخرین، فإنه قادر علی جمع المعلومات و دراستها دراسة نقدیة و ترتیبها ترتیبا منطقیا، لأننا قد حاولنا فی هذا الکتاب أن نفتح أمام الدارس آفاقا جدیدة للبحث الأدبی.

۴. و مما یُطلب من المدرّسین الکرام و الطلاب الأعزاء فی هذا المجال هو التجنّب من ترجمة نص الکتاب إلی الفارسیة، و هی فی میدان البحث الأدبی باب ضیق جدا یلجأ إلیه أحیانا بعضُ المدرّسین، عن عمد أو غیر عمد، فمن القضایا التی شغلتنا زمنا طویلا هی قضیة تعلیم اللغة العربیة و آدابها باللغة الفارسیة فی إیران و خاصة ما یتصل بالنصوص الأدبیة و تواریخ الأدب و النقد الأدبی و الأدب المقارن و غیرها، و هی قضیة تزعج الکثیر من معلمی هذا الفرع الدراسی و متعلمیه و هی معضلة عویصة فی جامعاتنا لم‌تنحل بعد.

فإن ناحیة من أهمیة هذا الکتاب تکمن فی دراسته النقدَ العربی و تعلیمه بلغته، إذ إنّ قصْر الدراسات الأدبیة علی ترجمة الکتب، کما هی شائعة فی بعض الجامعات، یصرف البحث إلی الترجمة و فهم المفردات دون فهم النص و غرضه، و یسلخ عن الموضوع المدروس صفة الدراسة النقدیة و البحث الأدبی و التحلیل الذی یقصد دراسة الآراء النقدیة و مواصلة التطورات النقدیة فی مدارسها و مناهجها و إبراز ما فیها من القوة و الضعف؛ فإذن یتحول البحث، فی نظر الطالب، إلی ضرورة لا صلة لها بموضوع البحث.

و أما أخيرا فبودى أن أقدم هذه الباكورة من دراساتى النقدية التى بذلت فيها كل جهودى و قدراتى إلى أبى و أمى و إلى كل أساتذتى الفضلاء، رجاء أن تكون تيسيرا لطلابنا الأعزاء سبل البحث الأدبى و مكملة للدراسات التى سبقت، و مما يجدر بنا أن نقرّ به هنا هو الاعتراف بما فيها من النقص و العيب، داعيا كل رجال الفكر و الأدب بغاية التواضع إلى الأمور التالية:

أ) مواصلة الارتقاء بهذه الدراسة نحو الأفضل ليساهمونا فى تثقيف شبابنا الأعزاء و إثراء عقولهم و تزويدهم بالمعلومات، لتحقيق ما رسمنا لهم فى هذا المجال.

ب) تقديم كل ما يدعم ثقافتهم و ثقافتنا سواء أكان شرحا، أم تلخيصا، أم مناقشة، أم اقتراحا بتعديل أو تجديد أو تدقيق فى البحث.

ج) أن ساحة البحث و النقد مفتوحة و حرة لكل من يهدف تحويل أحلامنا فى هذا المجال إلى الحقيقة.

و ما توفيقنا إلا بالله العليم

د. ع. صابرى

۱۳۸۴ هـ /۲۰۰۵م